

رسائل الانتقاد

كلمة للناشر

بينما كنت في خلال العام الفارط أرسل راند الطرف في بعض المخطوطات العربية القديمة عثرت على كتاب صغير الحجم جميل الخط عتيقه فتأملته فوجدته ملوآب تونسعي معدود من البلغاء . واذ كان لي ولوع شديد بالاطلاع على مآثر الادباء من بني وطني تعلقت رغبتي بتعريف هذا التصنيف . بيد اني لما أخذت اتلو رشيقي معانيه واحلل وقائقي مبانیه وجدت نقصاً فادحاً بين اوراقه افسد عقد جملة لحل بي من ذلك فلتق عظيم . ثم بعد مدة وقعت في فهرست القسم العربي من مكتبة الاسكوريال بجزيرة الاندلس على اسم مقامة تحت عدد ٥٣٦ منسوبة الى ابي عبد الله محمد بن شرف القيرواني فانجلى خاطري وبادرت في الحال لطلب نسخة منها من بعض زملائي المستشرقين . فلما وافقتي صورتها وطابقتها بما لدي عاودني سروري الاول وفوي عزيمي اذ كانت القطعة الاندلسية مطابقة للقسم الاول من النسخة التونسية بزيادة ما نقص . فاسرعت حينئذ الى النسخ واتممت هانئ بتلك حتى كمل والحمد لله ما كنا نرغبه وهو ما نقدمه اليوم للقراء الكرام .

ومن المناسب ان نذكر شيئاً عن الاصلين اللذين اخذنا عنهما . فالاول وهي النسخة التونسية تشتمل على ستين صفحة شرقية بلوح من شكل خطها انها من القرن السابع لكنها صعبة القراءة لانطباس الاحرف ودثور كتابتها دع عنك ما لحق الورق من العث الذي اهلك جانباً وافراً منها .

اما القطعة الاندلسية التي اكملنا بها ما ضاع من التأليف فهي تحتوي على ثمانين عشرة صفحة صغيرة الحجم اندلسية الخط قديمة النسخ كما يتبين ذلك من التاريخ الذي وضعه بعض المطالعين في الصفحة الآخرة حيث قال : « طالعه في موفى سنة خمس وخمسمائة » وبهذا يستدل على ان هاء القطعة كتبت زمن المؤلف مدة اقامته بالاندلس (حوالي سنة ٤٥٥) او قريباً من عهده . وبها كان الحال فهي أقدم من اختها التونسية الا انها أخضر ولا تشتمل الا على المقامة الاولى

و يلوح لي ان مؤلفنا قصد بتدوين هذه الرسائل معارضة « كتاب العمدة » الذي وضعه زميله ومعاصره الحسن بن رشيق القيرواني كما ستبينه في ترجمته . الا ان الرسائل المعارض بها كانت أطول وأكثر مما وجدناه . وأوردناه هنا . يؤيد ذلك ما جاء في سياق كلام ابن شرف في مقدمته للجلس الاول حيث قال : « فاقمت من هذا النحو عشرين حديثاً » فالمتلون انه بقصد بالحديث مجالسه مع الاستاذ الموهوم الذي سماه « بابا الريان » كما اختلق الحريري في مقاماته . شخص الحارث بن همام واخترع الحمداني عيسى بن هشام . فعسى ان يساعدني الحظ بالعثور على بقية هذا التأليف النفيس ان كان في عالم الموجودات .

وقد احترمت في الاستنساخ الطريقة التي اتى عليها الاصل في الرسم وضبطه الا ما نهت عليه اسفل المتن مع التعاليق

ولما كان الاعتراف بالمعروف فرضة وجب علي ان ارفع شكري الخالص للكاتب البليغ والباحث المدقق اخيراً في الله محمد بدر الدين اهتدي النعساني الذي اعانني بعلومه النيرة لازالة بعض مشكلات النسخة التونسية كما أقدم عبارات ودادي الى العالم المستعرب المتمكن صديقي الاستاذ كارلو فالينو الذي اسعفني بالحصول على صور القطعة الاندلسية وهو لا يزال يفيدني باشارات العلميه وفكره الصائب فجزيا عني خير جزاء والله ولي توفيقى به اهتدي واليه ائيب

حسن حسني عبد الوهاب

تونس

ترجمة المؤلف^(١)

نبيغ أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني نحو سنة ٣٩٠ من احدى البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربي الفاتح والقيروان اذذاك زاهية زاهرة بالعلوم رافلة بالمعارف والفنون فروى المعتبر والمنقول عن افاضل ذلك العصر كابي الحسن القاسبي واخذ الفنون الادبية من اساتذتها كابي اسحاق ابراهيم الحمصري القيرواني ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما حتى برع فيها واجاد فالحقه حينئذ المعز بن باديس الصنهاجي امير افريقية بدويان حاشيته لما رأى فيه من الذكاء والنجابة . وهناك التقى ابن شرف بمجموعة من الكتاب البلغاء والشعراء الظرفاء الذين كان يجمعهم

(١) اقتبسنا هذه الترجمة بتصريف من تأليفنا « الادب والادباء التونسيين » الذي

عرضنا على نشره قريباً بحوله تعالى

ديوان الملك مثل علي بن أبي الرجال الكاتب رئيس قلم التحرير والمراسلات وأبي علي
الحسن بن رشيقي صاحب العمدة ومحمد بن حبيب القلانسي وغيرهم . وطبيعي أن
وجود ابن شرف في مثل هذا الوسط دعاه إلى تتبع الوجهة التي شب عليها وقوي نشاطه
اذ كان أولئك الأدباء الأجلة يتسابقون في التقرب إليهم ويترجم إلى الأمير رغبة
في العطايا المائلة والهباء المائلة . وحصل عن هذا التنافس والتزاحم حركة فكرية
أدبية لم تراقب في مثلها في عصر من عصور السلطنة الإسلامية وصارت القيروان
كعبة العلم التي يجح إليها العلماء من جميع اصقاع المغرب حتى من الأندلس . وقد
خصص المعز لصحبته من بين هؤلاء الزعماء المتقدمين ابن شرف هذا وابن رشيقي
فكان يلتفت تارة إلى الأول وأخرى إلى الثاني وجرى بسبب ذلك بين هذين الأدبيين
مناقضات ومهاجات رسمها كل منهما في رسائل مستقلة ومقامات متنوعة لم يصل إلينا
منها شيء فيما نعلم

حكى ابن شرف المترجم له في كتابه « أبكار الأفكار » قال : « استدعاني المعز بن
باديس يوماً واستدعى أبا علي الحسن بن رشيقي الأزدي وكنا شاعريين حضرته
وملازمي ديوانه فقال : أحب أن تصنعا بين يدي قطعتين في صفة الموز على فافية
العين . فصنعتنا حالاً من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذي صنعه

يا حبذا الموز واسعاده	من قبل ان يمضنه الماضغ
قد لان حتى لا يجس له	فالقم ملآن به فارغ
سيان قلنا ما كل طيب	فيه والا مشرب صائغ

والذي صنعه ابن رشيقي

موز سريع أكله	من قبل مضغ الماضغ
فأكل كل لا كل	ومشرب لسائغ
فالقم من لين به	ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ	للحلق غير بالغ

فأمرنا للوقت أن نصنع فيه على حرف النال فعملنا ولم ير أحدنا صاحبه ما عمل
فكان ما عملته

هل لك في موز اذا	ذفناه قلنا حبذا
فيه مشرب وغذا	يربك كالماء القذى

لو مات من تلذذا به لقليل ذا بذا
وما عمله ابن رشيق

لله موز لذيذ بعيد المستعبد
فواكه وشراب به بداوى الوقيذ
تري القذى العين فيه كما يريها التبيذ

قال ابن شرف : فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت الغافية واحدة والقصد واحداً .
ولقد قال من حفر ذلك اليوم ما ندري من نجب أمن مرعة البديهة أم من غرابة
الغافية أم من حسن الاتفاق »

وحكى المؤلف المترجم له أيضاً في كتابه المذكور قال : « استغلنا المعز يوماً وقال
أريد أن تصنعاً شعراً تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذي يكون على صوق بعض
النساء فاني استعنته وقد عابه بعض الصرائر بعضاً به وكلهن قارئات كاتبات فاجبان
ارمين هذا وادعي انه قديم لاحتج به على من عابه وآسي به من عيب عليه . فانفرد
كل منا وصنع في الوقت فكان الذي قلت :

وبلقسية زينت بشر يسير مثل ما يهب الشحيح
رقيق في خدلة رداح خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خد به زغب فعمشوق ملج
فان بك صرح بلقيس زجاجاً فن حلق العيون لها صروح

وكان الذي قال ابن رشيق

يعيون بلقيسية ان رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها الترغيب ملحا كمثل ما يزيد خدود الغيد ترغيبها ملحا
فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيون وقال : « أوجدت لخصها حجة بأني بعض
الناس عابه » فانظر ما لطف هذه المناضلات وما أحل هذه الحكايات ولولا خوف
الاطالة لزدنا من هذه طرقاً تروق الخاطر .

واستمر ابن شرف على خدمة المعز الى انه زحف عرب الصعيد من هلايين ورياح
وغيرهم واستولوا على غالب القطر التونسي بعد ما خربوه ودمروه واضطر الامير المعز
الى ترك القيروان امام تلك القبائل المتوحشة (سنة ٨٤٤٩ هـ) وفرا الى المهديّة واتخذها دار ملكه
وقد تبعه اليها شعراؤه وحاشيتهم . وفي خلاه القيروان يقول ابن شرف من قصيدة رثائه

بعد خطوط خطبت مهجتي وكان وشك البين أمهارها
 ذا كبد أفلاذها حولها وقسمت الغربة أعشارها
 أطفالها ما سمعت بالفتلا قط فعادت القلا دارها
 ولا رأت ابصارها شامثا ثم جلت بالهج ابصارها
 وكانت الامرار آفاقها فعادت الآفاق استارها
 ولم تكن تملو سريراً علا الا اذا وافق مقدارها
 ثم علت فوق عشور الخطا تربى به في الارض اجمارها
 ولم تكن تلحظها مقلة لو كحلت بالشمس اشفارها
 فاصبحت لا لنقي لحظة الا بان تجمع اطمارها

وأقام ابن شرف مدة بالمهديّة مع زمرة شعراء الملك بمخدم الامير المزم وبابن نعيم الى ان رحل عنها قاصداً جزيرة صقلية لما سمع عن كرم اميرها واليهما لحقه رصيفه ابن رشيق وقد قدمنا انه كان وقع بينهما بالقيروان ما وقع بين جرير والفرزدق او بين الخوارزمي وبديع الزمان . فلما اجتمعا بصقلية تساعداً واقاما بها زمناً ثم استنفض يوماً ابن شرف رفيقه علي جواز الاندلس فأنشد حينئذ ابن رشيق البيهقي المشهور بين بين الخاص والعالم

مما يزهدي في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
 القاب سلطنة من غير مملكة كالمر يحكي انتفاخاً صولة الاسد

فاجابه ابن شرف بديهة

ان ترمك الغربة سيفه معشر قد جبل الطبع على بغضهم

قدارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في ارضهم

واجتاز ابن شرف وعده الاندلس وسكن المربة وغيرها وتردد على ملوك طوائفها كآل عباد بالـبيلية وغيرهم وبهذه المدينة الاخيرة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ مسيحي) وخلف ابناً يدعى ابا الفضل جمعراً كان ادباً مجيداً ايضاً اورد له العماد سيفه خريدته وانغم في فلاثه قصائد وقصولاً تشهد له بطول الباع .

اما آليف محمد بن شرف فكثيرة على ما نقله الينا المؤرخون فيها كتاب «ابكار الافكار» جمع فيه ما اختاره من نظم ونثر وهو اتقن مصنفاته (مفقود وقد يوجد منه شيء) . بعض كتب الادب . ومنها كتاب «اعلام الكلام» به غيب وبلغ (مفقود ايضاً) . ثم «رسائل الانتقاد» والمظنون انه ألها بعد هجرته القطر التونسي

كما يستفاد من سياق كلامه في مقدمتها . وغيرها من هذه المصنفات الادبية النفيسة
وها نحن نأتي هنا على منتخبات نثر وشعر من كلام محمد بن شرف ليرى القاري
براحة هذا المؤلف الجليل ومكانته من الادب

فمن نظمه في الشوق الى بلاده القيروان بمدة اقامته بالاندلس

يا قيروان وددت ابي طائر فاراك رؤية باحث متأمل
يا لو شهدتك اذ رأيتك في الكرى كيف ارتجاع صباي بعد تكمل
واذا تجدد لي أخ ومناדם جدت ذكر أخ خليل أول
لا كثرة الاحسان تنسي حمركي هيهات تذهب عني بتعلم
لو كنت اعلم ان آخر عهدم يوم الرحيل فعلت مالم أقمل
وله في شكوى الزمان

اخي وان عز في نيل المنى لاري حرم الفتي خلقة يدت لي العدم
تقلدني الليالي وهي مدبرة كأنني صارم في كف منهزم

وانشد في المعنى

عتاباً عسى ان الزمان له عني وشكوى فكم شكوى الانت له القلي
اذا لم يكن الا الى الدمع راحة فلا زال دمع العين منه حلا سكباً
وقال ايضاً

وما بلوغ الاماني في مواعدها الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به فكيف لي بقضاء غير مكتوب
ومن شعره في الحكم قوله

احذر محاسن أوجه فقدت بها من أنفوس ولو انها أقمار
مرج تلوح اذا نظرت فانها نور يضيء وان مست فنار
وقوله

لا تسأل الناس والايام عن خير مما يثباتك الاخبار تطفيلاً
ولا تعاتب علي نقص الطباع أحاً فان بدر السما لم يعط تكميلاً
لا يؤيسبك من أمر تصعبه فانه قد يعقب التصعب تسهيلاً
يع من جفاك ولا تبخل بسلمته واطلب به بدلاً أن رام تبديلاً
وصبر الارض داراً والورى رجلاً حتى ترجع مقبلاً في الناس مقبولا

وله

إذا صحب الفنى سعد وجد تخامنه المكاره والخطوب
ووفاء الحبيب بغير وعد طفولياً وفاد له الرقيب

وله أيضاً

يا ثاوياً سيفه معشر قد اصطلى بشارم
ان تبك من شرارم على يدي شرارم
أو نرم من أحجارم وانت في أحجارم
فما بقيت جارم ففي هوام جارم
وارضهم سيفه ارضهم ودارم في دارم

ومن كلامه في المنفل قوله في ليلة أنس

ولقد نعمت بليلة حمد الحيا بالارض فيها والسماء تذوب
جمع الهاتين المصلي وانزوى فيها الرقيب كأنه مرقوب
والكأس كاسية التميمين كأنها لوتناً وقدرا معصم مخضوب
هي وردة في خده وبكأسها تحت القناني عسجد مصبوب
مني اليه ومن يديه الى يدي فاشمس تطلع بيننا وتغيب

وقوله أيضاً

قامت تجر ذبول العصب والحبر ضميقة الخطو والميثاق والنظر
تخطو لشولي الحصا من حليها نبذا وتخلط العنبر الوردي بالعفر
تلفتت عن طلا وسنان واتسمت عن واضح مثل نور الروضة المعطر
مالد للعين نوم بعد ما ذكرت ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق القهور به تساقط الدر في القباب والشعر

وله من خيرية سمية

خليل النفس لا تخلي الزجاجة اذا بجر الدجى في الجو ما جا
وجاهر في المدامة من يرآني فما فوق البسيطة من يداجي
امط عنك الكرى والليل ساج ودعا تلبس الظلاء ساجا
وهات على اهتمام الروح راحا بعيد هموم النفس لها اقتراجا

اذا مزيجها القند احمراراً ... صبينا المشتري فيها مزاجاً
 وله بكيت دماً والقاصرات سوافر ... فلاحات خدود كهن مورد
 وقد وقف الواشون في كل وجنة ... على محضر فيه المدام تشهد
 وله يقول لي العاذل في لومه ... وقوله زور وبهتان
 ما وجه من احبته قبله ... قلت ولا قولك قرآن
 وقال قل للعدول لو اطلمت لي الذي ... عانته أعناك ما يبتغي
 أنصفني أم للغرام تردني ... وتلونني في الحب أم تغريني
 دعني فلت معانك بجنايتي ... اذ ليس دينك لي ولا لك ديني
 وقال فبين اسمه عمر

يا أعدل الناس اسماً كم تجور على ... فؤاد مضالك بالهجران والبين
 أظنهم سرفوك القاف من قر ... فايدلوا بعين خيفة العين
 وله ايضاً

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم ... فكأنني سبابة المتشتم
 وقال يمدح استاذ الكاتب ابا الحسن علي بن أبي الرجال
 جاور عليك ولا تحفل بجاذنة ... اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسر
 اسم حكاك المسمى في الفعال فقد ... حاز العالين من قول ومن عمل
 فالماجد السيد الحر الكريم له ... كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
 زان العلا وسواء شأنها وكذا ... تميز الشمس في الميزان والحل
 وربما طابه ما يفتخرون به ... يشتمن الخصر ما يهوى من الكفل
 سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ... ملء السامع والافواه والمقل
 ومن نظم في انواع شتى : قال في العود

سقى الله ارضاً أنبتت عودك الذي ... زكت منه أغصان وطابت مغارس
 تنفى عليها الطير والعود اخضر ... وغنت عليه الغيد والعود يابس
 وقال في الدرهم والدينار

الاربشي فقيه من أسرف اسمه ... نواء لنا عنه وزجر وانذار
 فتنا بدبار وهمنا بدرم ... وآخر ذاهم وآخر ذا نار
 وقال من قصيدة في وصف سيف

ان قلت نارا أُنْدى النار الملمية أو قلت ماءً أيرمي الماء بالشر

وله من أخرى

وقد وخطت أرواحهم مفرق الدجى فبان باطراف الأسنّة شائبا

ومن ثمره ما كتبه مستعطفًا على محبوبس في دين :

قد حكمت : جن الاشباح . وهي سجون الارواح . فأمن علي ماشئت منها بالسراح .
فالحبس نزاع الارواح . والعقلة أخت القلة . وكلاهما فقد . ومهر للخطوب وفقد . وانما
بينهما نفس متصاعد . وأجل متباعد . فالخلق منهما ما أجلت بما عجلت . وقد اخرنا الدين .
الى يوم الدين .

ومن مشور كلامه في « أبكار الافكار » :

لما فني عمر الامس . وطني سراج الشمس . لاحت بروق الثغور اللوامع . وجلجلت
رعود الاوتار في المسامع . وبعث محارق وابن جامع . فلم يزل ذلك دابئا . ما أقلع
سحابيا . حتى مسأنا جمعة . وكلنا نقول بالرجعة

وله في القرابة : الوجه بين اقاربه . كالوادي بين مذابه . تجذب من ماءه وتطلب من غياهه .
وفي العدوواة : كم قاطعك من راحك . وقابحك من مالك . وناقك من وافك .
وناصبك من صاحبك . وحادك من وادك .

في انواع شتى : الجود أنصر من الجنود — من بخل بماله . سمح بمرض آله — الباذل
كثير العاذل — الكريم كثير الغريم — احذر الكريم اذا افتقر . والاثيم اذا اقتدر —
احذر التي اذا أنكر . والدكي اذا فكر — المطل احد المذمين . واليأس احد الصنمين —
العشق احد الرقين . والسلو احد العتقين — رفث الكلام احد السفاحين . وموالة
القبيل احد النكاحين — جميل الرد احد الجودين . وبقاء الذكر احد الخلودين — طول
الجود احد القبرين . وبقاء الثناء احد العمرين — بش التصبر التقصير — التماسر
خاسر — من كثر فخره . وجب هجره — من كرمت خصاله . وجب وصاله — سخابة
حيث . وزيارة طيف — الوسيلة جناح النجاة — رب عين اذا رأت زنت — لاكرم
بين حرم — المستلم أحزم من المتسلم .

هذا ما قصدنا ايراد هنا على ان ما جمعناه من كلام هذا الاديب البارع هو اطول
من ذلك وقد لاقينا صعوبات حمة في نظم ما نشئت اذ لا يوجد تأليف يحوي تراجم
فضلاء القطر التونسي والله المسؤول الاعانة
ح . ح . ع

بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعن برحمتك

قال ابو عبد الله محمد بن شيراز القيرواني هذه احاديث صنعتها مختلفة الانواع . مؤتلفة في الاسماع . هريبات المواشم . غريبات التراجم . واختلفت فيها اخباراً فصيحيات الكلام . بديعات النظام . لها مقاصد طراف . واسانيد طراف . يروق الصغير معناها . والكبير مغزاها . وعزوتها الى ابي الريان الصلت بن السكن من سلامان ^(١) . وكان شيخاً مهماً في اللسان . وبدراً تمكاً في البيان . قد بقي احقاباً . ولني اعقاباً . ثم القته اليها من باديته الازمات . واورده . عليهما العزمات . فامتحنا من علمه بجرارياً . وقد حنا من فعمه زنداً وارياً . وادرننا من بره طرفاً . واجتنبنا من ثمره طرفاً . ونحن اذ ذاك والشباب مقتبل . وغفلة الزمان تهتل . واحتذبت فيما ذهبت اليه . ووقع تعريضه عليه . من بث هذه الاحاديث ما رأيت الاوائل قد وضعت في كتاب كليله ودمنة ^(٢) فاضافوا حكمه الى الطير الحوام . ونطقوا به على السنة الوحش والبهائم . لتعلق به شهوات الاحداث . وتسبب به بسمرة الفاظ الحداث . وقد نحا بهذا النحو سهل بن هرون ^(٣) انكأب في تأليفه كتاب النمر والشعل وهو مشهور الحكايات . بديع المراسلات .

(١) سلامان (بفتح اوله) مالا لبني شيبان على طريق مكة الى العراق وبه مات نوفل بن عبد مناف . قال حاتم :

اذا حال دوني من سلامة رملة وجدت توالي الوصل عندي أبتر

(من « مجمع ما استجمع » لابن عبيد الله البكري ج ٣ ص ٧٢٦ طبعة غوثنغن سنة ١٨٧٦) . وفيها يظهر لنا ان ابن شرف اختار سلامان الذي هو اسم منزل لبني شيبان تذكاراً لقبيلة التي ينسب اليها احد اساتذته ومحبيه ابو الحسن علي بن ابي الرجال الشيباني رئيس قلم الانشاء في دولة المعز بن باديس الصنهاجي كما ذكرناه في ترجمة المؤلف (٢) كتاب كليله ودمنة وضعه بيدبا الحكيم الهندي باللغة البهلوية ثم ترجم الى الفارسية ومنها عربه عبد الله بن داؤدة بن المتفهم (١٠٩ - ١٤٥ هـ) على عهد ابي جعفر المنصور العباسي .

(٣) ابو عمر سهل بن هارون بن راعبوت الدستيمساني اصله فارسي وانقل الى البصرة واتصل بخدمة المأمون فتولى رئاسة خزانة الحكمة ببغداد وكان حكيماً فصيحاً

ملج المكاتب . وزور ايضا بديع الزمان الحافظ الحمذاني وهو الاستاذ ابو الفضل احمد ابن الحسين^(١) مقامات كان ينشئها بديها في اواخر مجالسه و ينسبها الى راوية رواها له بسميه عيسى بن هشام وزعم انه حدثه بها عن بليغ بسميه ابا الفتح الاسكندردي وعددها فيما يزعم رواها عشرون مقامة الا انها لم تصل هذه العدة الينا وهي متضمنة معاني مختلفة . وبينية على معاني شتى غير موثقة . لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين من صرفها من هنزل الى جد . ومن ند الى ضد . فاقمت من هذا النحو عشرين حديثا أرجو^(٢) ان يتبين فصلها . ولا نقصر عما قبلها . ولعمري ما اشكر من نفسي . ولا أثني على شيء من حسي . الا ظفري بالاكل مما حاولته على ما أسرمته نيران الغربة من قاي . وثلثة صغقات الفنة من لي . وقطعت احوال البر والبحر من خواطري . واضمغت الوحشة والوحدة من غرازي وبماتري . لكن نية القاصد وسعة المقصود . اعانا ذا الود على اتخاف المودود . والله أسأل توفيقا . ينهج لنا الى الرشيد طريقا .

فنها

قال محمد^(٣) وجاريت ابا الريان في الشعر والشعراء ومنزلهم في جاهليتهم واسلامهم^(٤) واستكشفت عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقته سيف قديم شاعرا شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب . وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته منها كتاب « قله وهفوه » وكتاب « نصمة وعصرة » عارض بهما كيلة ودنة في ابوابه وامثاله وزاد عليه بحسن التلخيص . اما كتاب « النثر والتعلب » الذي نسب اليه ابن شرف هنا فلم نقف على ذكره في تأليفه .

(١) بديع الزمان توفي سنة ٣٩٨ ومقاماته تبلغ اربعمائة كما ذكره ابراهيم الحمصري القيرواني في كتابه « زهر الآداب » حيث قال « ان الذي سبب لتأليف مقاماته هو ان رأى ابا بكر بن الحسين بن دريد قد اغرب باربعين حديثا ذكر انه استنبطها من بتاييع صدره وأنقها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بالفاظ بعيدة وحشية فعارضه البديع باربعائة مقامة ٠٠٠ » الا ان المنداول الآن بين الناس خمسون مقامة فقط طبعت بمصر وغيرها والمظنون ان في عصر ابن شرف لم يصل الى افريقية سوى عشرين منها

(٢) بالاصل . أرجوا — (٣) من هنا فقط تبتديء النسخة الاندلسية —

(٤) والنسخة الاندلسية: في ذكر اهل النظام . ومنزلهم في الجاهلية والاسلام —

وحدثهم^(١) فقال الهمراء^(٢) أكثر من الاحصاء واشعارهم ابعد من شفة الاستقصاء .
 قلت لا اعتبك^(٣) باكثر من المازورين . ولا اذا كررك الا في المذكورين^(٤) مثل
 الضليل والقتيل . وليد وعبيد . والنوايح . والعو^(٥) . والاسود بن يعفر . وصخر النمي^(٦)
 وابن الصمة دريد . والراعي عبيد . وزيد الخليل . وعامر بن الطفيل . والفردق وجبرير .
 وجميل بن ممر وكثير . وابن جندل . وابن مقبل . وجبرول . والاخلط . وحسان في
 هجائه^(٧) ومدحه . وغيلان في مبعثه وصيدحه . والمهذلي ابي ذؤيب^(٨) . وبهيم ونصيب .
 وابن حلزة الوائلي . وابن الرقاق العاملي . وعنترة العبسي . وزهير المري^(٩) . وشعراء فزارة .
 ومفلح بن زراره . وشعراء تغلب وبثرب . وامثال هذا النبط الاوسط كالرماح .
 والطرماح . والطثرب . والدميني . والككيت الاسدي . وحديد الغلالي . وبشار
 العقيلي . وابن ابي حفصة الاموي . ووالدة الاسدي . وابن جبلة الحلبي . وابي نواس
 الحكمي . ومريع الانصاري . ودعبل الخزاعي . وابن الجهم القرظي . وعبيب
 الطائي . والوليد الجعفي . وابن المعتز العباسي . وعلي بن العباس الرومي . وابن رغبان
 الحمصي . ومن الطبقة المتأخرة في الزمان . المتقدمة في الاحسان . كابي فراس بن
 حمدان . والمنفي بن عبدان . وابن جدار المصري . وابن الاحنف الحنفي . وكشاجم
 الفارسي . والصنوبري الحلبي . ونصر الغزدي^(١٠) . وابن عبد ربه القرطبي . وابن
 هاني الاندلسي . وعلي بن العباس الايادي^(١١) . التونسي . والفسطلي قال ابو الريان لقد
 سميت مشاعير . وابقيت الكثير . قلت بلى : ولكن ما عندك فيمن ذكرت . قال : اما
 الضليل^(١٢) . مؤسس الاساس . وبنياته^(١٣) عليه الناس . كانوا يقولون اسيلة الخلد

(١) هذه الجملة مفقودة من النسخة الاندلسية — (٢) بالنسخة الاندلسية : عدد
 الشعراء — (٣) وبالنسخة التونسية : اعتنك وهو الاولى — (٤) من ولا اذكر الى المذكورين
 مفقود من النسخة الاندلسية — (٥) بالنسخة الاندلسية : العشي — (٦) بالنسخة الاندلسية :
 ومن سواء من اعني — (٧) بالنسخة الاندلسية : في حاجيه — (٨) بالنسخة التونسية : وابو
 ذؤيب المهذلي — (٩) بالنسخة التونسية : المزني وهو ايضا صحيح — (١٠) بالنسخة التونسية :
 الخبزي — (١١) بالنسخة الاندلسية : الايادي وعلي بن العباس الايادي هذا من
 نقول الشعراء التونسيين خدم بشعر الامراء العبيديين واسط القرن الرابع وكان معاصراً
 لابي الفلمج محمد بن هاني الاندلسي (١٢) الضليل هو امرؤ القيس بن حنجر الكندي حامل
 لواء شعراء الجاهلية — (١٣) بالنسخة التونسية : بذاته —

حتى قال أسيلة مجري الدمع . وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وجيدة وتامة
 المنق واشباه هذا حتى قال بعيدة مهوى القرط^(١) وكانوا يقولون في الفرس السابق
 يلحق الغزال والنظير وشبهه حتى قال قيد الاوابد^(٢) ومثل هذا له كثير . ولم يكن قبله
 من فطن لهذه الاشارات والا-شعارات غيره فامتثلوه بمدح . وكانت الاشعار قبل
 سواذج . فبقيت هذه جدداً وتلك نواحيج . وكل شعر بعد ما خلاها فغير رائق القبيح .
 وان كان النهج واما طرفه فلو طال عمره . لطل شعره . وعلا ذكره . ولقد خسر
 باوفر نصيب من الشعر . على ايسر نصيب من العمر . قللاً أرجاء ذلك النصيب
 بصنوف من الحكمة . واوصاف^(٣) من علو الهمة . والطبع معلم حاذق . وجواد سابغ
 واما الشيخ ابو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة . عن جنان الاصابة . فلا تسمع له الا
 كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيتاً صريحاً . وان كان شيخ الوقار . والشرف والفخار . لبادئات
 في شعره وهي دلائله . قبل ان يعلم قائله . واما العباسي^(٤) فنجيد في اشعاره . ولا كملقة .
 فقد انفرد بها انفراد سبيل . وغبر في وجوه الخيل . وجمع فيها بين الخلاوة والجزالة .
 ورقة الغزل وغلظة البسالة . واطال واستطال . وامن السامة والكلال . واما زهير فأي
 زهير . بين لهوات زهير . حكم فارس . ومقامات الفوارس . ومواعظ الزهاد .
 ومعتبرات العباد . ومدح يكسب الفخار . ويبقى بقاء الاعصار . ومعايات مرة تحسن .
 ومرة تحسن وتارة تكون هجواً . وطوراً تكاد تعود شكر . واما ابن حنزة^(٥) فسهل الحزون . قام
 (١) لم نعثر في شعر امرئ القيس على هذه الجملة ولا التي قبلها . واول من استعمل لفظ
 القرط في نظمه هو عمر بن ابي ربيعة حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما لتوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم
 كما ان الاخطل هو اول من وصف الخد بالسهولة وذلك في قوله :
 اسيلة مجري الدمع اما وشاحها نجار واما المجمل منها فما مجري
 ٢ » إشارة الى قول امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكذا انتها بمنجرد قيد الاوابد هيكلا
 وهذا البيت يعد من ابتداعات امرئ القيس ومخترعاته

» ٣ « من هنا ابتدئنا بالفسخة التونسية فاقمعنا ما ضاع من النسخة الاندلسية

» ٤ « العباسي هو هنترة بن شداد » هو الحارث بن حنزة بن مكره بن يزيد

البشكري البكري احد شعراء الجاهلية المجيدين

خطيباً بالموزون . والعادة ان يسهل شرح الشعر بالثر . وهذا اسهل السهل بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضواء^(١)
من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذلك رغاء
فلما اجتمع كل خطيب ناثر . من اول وآخر . بصفون سقراً : بضوا بالاسحار . وهسكراً
تنادي بالنهوض الى طلب الثار . ما زادوا على هذا ان لم يقصوا منه . ولم يقصروا عنه
وسائر قصيدة . في هذا السلك شكاية وطلاب نصفه وعذاب في عزة وانفة . وهو
من شعراء وائل واحد اسنة هاتيك القبائل واما ابن كثوم فصاحب واحدة بلا زيادة
انطقه بها عن الظفر وهزه فيها جن الاثر فقهت رعوده في ارجائها وجمعت
رحاه في اثنائها وجعلتها تغلب قبائنها التي تصلي اليها . ولما التي تمتد عليها فلم يتركوا
إعادتها ولا خلعوا عبادتها الا بعد قول القائل :

المى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة فلما عمرو بن كثوم^(٢)

على انها من القصائد المحققات واحدى المعلقات واما النابغة زياد فاشعاره الجياد لم
تخرج عن نار جوانحه حتى تنامي نفيها ولا قطعت من متوال خواطره حتى تكاثف
نسبها لم تهملها مبعة الشباب ولا وهاء الاسباب ولا لوم الاكتساب فشعره
وسائط سلوك وتيجان ملوك واما النابغة الجعدي فتفي الكلام شاعر الجاهلية والاسلام
واستحسن شعره افصح الناطقين ودعاه اصدق الصادقين وكان شاعراً في الافتخار
والثناء قصير الباع لشرفه عن تناول الهجاء وكان مغلوباً فيه في الجاهلية وطريد
ليلي الاخباية واما العشي باجمعهم فكلهم شاعر ولا كيمون بن قيس شاعر المدح
والهجاء واليأس والرخاء والنصرف في الفنون والسعي في السهول والحزون نفق

« ١ » البيتان من معلقته المشهورة التي مطلعها :

آذنتنا بينها اسماء رب ناك على منة النواء

يقال انه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح وكان
يذنه من وراء سبعة شهور فامر عمرو برفع الستور عنه استحساناً لها . وتروى أجمعوا
بدل أبرموا .

« ٢ » قائل البيت مجهول واتبعه ابن قتيبة بيت آخر وهو :

يفأخرون بها مذ كان اولهم بالرجال لشعر غير مسوم

مدحه بنات الخلق وكان في فقر ابن المذاق وابكى هجومه علقمة^(١) كما تبكى الأمة
واما الاسود بن يعفر فاشعر الناس اذا ندب دولة زالت او بكى حالة حالت او وصف
ربعا خلا بعد عمران او دارا درست بعد سكان فاذا سلك هذا السبيل فهو من
حشو هذا القبيل كمرو وزيد وسعد وسعيد واما احسان فقد اجث بواكر غسان
ثم جاء الاسلام وانكشف الاظلام فحاش عن الدين وناضل عن خاتم النبيين
فشعر وزاد وحسن واجاد الا ان الفضل في ذلك لرب العالمين وتدييد الروح
الامين واما دريد بن الصمة فصمة صمم وشاعر جشم وغزل هرم واول من تغزل
في رثاء وهزل في حزن وبكاء فقال في معبد اخيه قديته المشهورة يرثيه :

ارث جديد الحبلى من ام معبد^(٢) وهي من شاجيات الفوائح وباقيات المدائح
واما الراعي عبيد نجبل على وصف الابل فصار بالراعي يعرف ونسي ماله من الشرف واما
زيد الخيل فخطيب سجاعة وفارس شجاعة مشغول بذلك عما سواه من المسالك واما عامر
ابن الطفيل فشاعر هم في الفخار وفي حماسة الجار وادصفهم لكرامة وابعثهم لحمد شيمه
واما ابن مقبل فتقديم شعره وصليب نجهه ومغلى مدحه ومغلى قدحه واما جرول
نحيث هجاؤه شريف ثناؤه صحيح بناؤه رفع شعره من الثرى وحط من الثريا
واعاد بلطافة فكره وشائنة شعره قبيح الالفاظ فخرأ ببقى على الاحقاب ويثوارث
في الاعقاب واما ابو ذؤب فشديد اسر الشعر حكيمة شغله فيه التجريب حديثه
وقديمه وله المراثية النقية السبك المثينة الحبك بكي فيها بانيه السبة ووصف الحمار
قطول وهي التي اولها امن المنون ورويه تتوجع^(٣)

واما الاخطل فسعد من سعاد بني مروان صفت لهم امرأة فكره وظفروا بالبديع
من شعره وكان باقة من حاجاه وصاعقة من حاجاه واما الدارمي همام^(٤) فجوهر

« ١ » هو علقمة بن علاثة هجاء اعشى يموتون دفنا عن عامر بن الطفيل بايات طالها :

علقم ما انت الى عامر النا قض الاوتار والواتر

« ٢ » قال ابن الكلبي : لا اعلم مراثية اولها نسيب الا قصيدة دريد بن الصمة (عمدة :

باب الرثاء)

ارث جديد الحبلى من ام معبد بعافية قد اخلفت كل موعد

« ٣ » وبقية البيت : والمهر ليس بمعتب من يجوزع

« ٤ » الدارمي همام هو الفرزدق الشاعر المشهور

كلامه . واغراض سهامه . اذا انقهر بملك ابن حنظلة . وبدارم في شرف المنزلة .
 واطول ما يكون مدى اذا تطاول اخيار جرير عليه بقليله على كثيره . وبصغيره على
 كبيره . فانه يصادمه حيث شئ بصر ماد . ويقاومه بسيف حاد . واما ابن الخطمي^(١)
 فزهده في غزل . وحجرا في جدل . يسبح اولاً في ماء عذب . ويعلم آخرأ سيفه صخر
 صلب . كلب مناجحة . وكبشر مناجحة . لانفل غرب لسانه مطاولة الكفاح . ولا تدمي
 هامته مداوة النطاح . جارى السوابق عطية . وفاخر غالب بعطية . وبانته بلاغة .
 الى المساواة . وحملت جرأه على الجارة . والناس فيها فربقات . وينها عند قوم
 فركان . واما القيسات^(٢) وطبقتهما طبقة عشقة . توفة . استحوذت الصيابة على
 افكارهم واستفرغت دواعي الحب معاني اشعارهم فكلم مأخول بهواه لا يتعداه
 الى سواه . واما كثير فحسن النسيب فبيده لطيف العتاب مليحه شعبي الاعتراب
 فريحه جامع الى ذلك رفائق الظرفاء . وجزالة مدح الخلفاء . واما الكهيت والرماح
 ونصيب والطرماح فشعراء معاصرة ومناقضات ومفاخرة فنصيب امدح النوم
 والطرماح اهماج والرماح انبهم نبيا والكهيت اشبهم تنبيا . واما بشار بن برد
 فاولو الحديثين وآخر المختصرمين ومن لحق الدوتيين عاشق سمع وشاعر جمع .
 شعره ينفق عند ربات المجال . وعند فحول الرجال فهو يلين حتى يستمطف .
 ويقوى حتى يستنكف . وقد طال عمره وكثر شعره وطما بحره . وتقب في البلاد
 ذكره . واما ابن ابي حفصة^(٣) فن شعراء الدوتيين ومن حظي بالتمتين ووصل الى
 الغنى بالصلتين وكان درب المعول ذرب المقول والد شعراء . ونخب فصحاء .

(١) ابن الخطمي هو جرير بن عطية بن الخطمي التميمي الشاعر المشهور المتوفى سنة
 ١١٠ وكانت بين جرير هذا والفرزدق مهاجمة وتقاتل مشتهرة بتأليف خاص

(٢) اولهما : قيس بن الملوح مزاحم بن قيس العامري المشهور بمجنون لبلى واشعاره
 فيها متداولة بين الناس . وثاني القيسين هو قيس بن ذريح الكتافي رضيع الحسن
 ابن علي بن ابي طالب توفي في حدود اليمين للهجرة . وغالب اشعاره في معشوقته لبني
 بنت الحبيب

(٣) هو ابراهيم مروان بن ابي حفصة سليمان بن يحيى بن ابي حفصة يزيد من
 الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ولد سنة ١٠٥ وتوفي عام ١٨١ ببغداد وله نوادر
 كثيرة تراجع مجامع التراجم

واما ابو نواس . فاول الناس في خرم القياس وذلك انه ترك السيرة الاولى .
ونكب عن الطريقة المثلى وجعل الجذع زلا والصعب سهلا فهلّل المسرد وبلبل
المنفذ وخلخل المنجد وترك الدعائم وبنى على الطامهي والعائم وصادف الافهام قد
نكلت واسباب العربية قد تخالخت وانخلت والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت .
قال الناس الى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما القوه فتهاذوا شعره واغلووا شعره .
وشغفوا باسخفه وكلفوا باضعفه وكان ساعده اقوى وسراجه اضوا لكنه عرض
الانفقى واهدى الاونقى وخالف فشر وعرف واغرب فذكر واستعارف والعوام
تختار هذه الاعلاق واسواقهم اوسع الاسواق فشعر ابي نواس نافى عند هذه
الاجناس كاسد عند انقد الناس وقد فطن الى استغفائه وخاف من استغفائه .
فاستدرك بنصيح طرده طرفا احد اللسان وحدوده وهو محدود في كثرة النظاهر على
من غش منه بالحق الظاهر ليس الا خلفه روح المحون وسهولة الكلام الضعيف
المحنون على جمهور العوام لا على خواص الانام واما صريع "فكلامه مرصع ونظامه
مصنع وجملة شعره صحيحة الاصول مصنعة الفصول قليلة الفضول واما العباس بن
الاحنف فمعتزل بهواه ومبغزل عما سواه دفع نفسه عن المدح والمجاء ووضعها بين
يديه هواء من النساء قد رقت الشغف كلامه وثقت قوة الطبع نظامه فله رقة
العشاق وجودة الحذان واما دعبل قديم مقل اليوم مدح وغدا قدح يجيد في
الطريقتين ويسبي في الخليقتين وله اشعار في العصبية وكان شاعر علماء وعالم
شعراء واما علي بن الجهم فرشيق الفهم راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ونام
الخلفاء وله في الغزل الرصافية وفي العتاب الدالية ولو لم يكن له سواهما لكانت
(١) صريع الغواني لقب لشاعرين الاول القطامي واسمه عمير بن شيثم ابن اخت
الاختل سمي بذلك لقوله :

صريع غوان راغب ورفقه لدن شب حتى شاب سود الدوايب
والثاني وهو الذي قصده ابن شرف هنا هو مسلم بن الوليد الانصاري من شعراء
الدولة العباسية لقبه الرشيد بصريع لقوله :

هل العيش الا ان تروح مع الصبا وتقدو صريع الكاس والاعين النجل
ومولده مسلم بالكوفة ووفاته سنة ٢٠٨ هجرية وهو فيما زعموا اول من قال الشعر
المعروف بالبديع

اشعر الناس بها واما الطائي حبيب فتشكك الا انه يصيب ومتعب لئلا من الراحة نصيب وشغله المطابقة والتجسس^(١) حبذ ذلك او يس جزل المعاني مرصوص الغاني مدحه ورثاؤه لا غزله وهجاؤه طرفا تقيض وخطبا ساء وحضيض وفي شعره علم جم من النسب وجملة وافرة من ايام العرب وطارت له امثال وحفظت له اقوال وديوان مقرو وشعره متلو قال ابن بسام اما صفته هذه لا يفي تمام فنصفه لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى لو سمعها حبيب لا يتخذها قبلة واعتمدها ملة فما لام من ادب وان اوجع ولا سب من صدق وان اقتزع واما البخنجري فلفظه ما تشجج ودرر جراج ومعناه سراج وهاج على اهداء منهاج يسبقه شعره الى ما يجيش به صدره يسر مراد ولين قياد ان شربته ارواك وان قدحته اوراك طابع لا تكلف يعيبه ولا العناد يثنيه لا يمل كثيره ولا يستكف غزيره لم يهف ايام الحلم ولم يصف زمن الهرم واما ابن المعتز فملك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات المثلية والاستعارات الشكلية والاشارات الشعرية والعارات المجرية والتصاريف الصنوفية والطرائق الغنوية والافتخارات الملوكية والهامات العلوية والغزل الرائق والعتاب السائق ووصف الحسن الفائق

وخير الشعر اكرمه رجلا وشر الشعر ما قال العبيد^(٢)

واما ابن الرومي^(٣) فشجرة الاختراع وثمرة الابتداع وله في الهجاء ما ليس له في الاطراء فتح فيه ابوابا ووصل منه اسبابا وخلع منه اثوابا وطوق فيه رقابا يبقين اعمارا واحقابا يطول عليها حسابه ويمحق بها ثوابه ولقد كان واسع العطن لطيف الفطن الا ان الغالب عليه ضعف المريرة وقوة المرة واما كشاجم فحكيم شاعر وكتاب ماهر له في التشبيهات غرائب وفي التاليفات عجائب يجيد الوصف ويحققه ويسبك المعنى فبرقته ويرهقة واما الصنوبري ففصح الكلام غريبه مليح التشبيه عجبته مستعمل لشواذ القوافي يفضل كدرتها بماء فهمه الصوافي فتجبل وتندق وتعذب وترق^(٤) وهو وحيد^(٥) جنسه في صفة الازهار وانواع الانوار وكان في بعض اشعاره

(١) البيت للغرزدق هجا به نصيبا وقد يروى : اشرفه رجلا عوض اكرمه رجلا

(٢) هنا ينتهي النقص الذي بالنسخة التونسية

(٣) بالنسخة التونسية : فيجل ويدق ويعذب ويرق

(٤) وبالنسخة التونسية : جيد جنسه

بِخَالِعٍ وَفِي بَعْضِهَا بِتَشَاجُعٍ وَقَدْ مَدَحَ وَهَجَا وَنَثَرَ^(١) وَشَجَا وَاعْجَبَ شِعْرَهُ وَاعْطَرَبَ
 وَشَرَّقَ وَغَرَّبَ وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ اَفْرِيقِيَّةِ امِيرَ الزَّابِ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ^(٢) مِنْفَقٍ سَوْقٍ^(٣)
 الْآدَابَ فَوَصَلَهُ بِالْفِ دِينَارَ بَعْثَهَا إِلَيْهِ مَعَ ثِقَاتِ الْقَجَّارِ^(٤) وَأَمَّا الْخَبْرُ زَيْ^(٥) فَتَخْلِيعُ
 الشَّعْرِ مَاجِزُهُ وَائْتِاقُ اللَّفْظِ بَائِنُهُ كَثِيرَةٌ مَحَاسِنُهُ صَحِيحَةُ أَصُولُهُ وَمَعَادِنُهُ رَائِثَةُ
 الْبُزَّةِ مَائِلَةٌ إِلَى الْعِزَّةِ تَسْلِيهِ عَنْ الْحُبِّ الْحَيَاةِ وَيُرْوَى الْوَفَاءَ وَالصِّيَانَةَ وَلَهُ عَلَى خُوءِنَةٍ
 خَلَقَهُ وَصُعُوبَةٍ خَلَقَهُ اخْتِرَاعَاتٌ لَطِيفَةٌ وَابْتِدَاعَاتٌ ظَرِيفَةٌ^(٦) فِي الْغَائِظِ كَشِيفَةٌ وَفُصُولٌ قَلِيلَةٌ
 الْفُضُولُ نَظِيفَةٌ حَتَّى أَنْ بَعْضَ كِبَرَاءِ الشُّعْرَاءِ اهْتَدَمَ أَشْيَاءُهُ مِنْ مَبَانِيهِ وَاهْتَضَمَ طَرَفُهَا^(٧)
 مِنْ مَعَانِيهِ وَهُوَ مِنْ مَعَاصِرِهِ فَقُلْتُ مِنْ فُطُنِ لِمَرَامِيهِ وَأَمَّا أَبُو فَرَّاسٍ بْنُ سَمْدَانَ
 فَمَقَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ أَنْ شَتَّتَ ضَرْبًا وَطَعْنَا أَوْ أَنْظَاوَعْنَا مَلِكُ زَمَانَا وَمَلِكُ أَوَانَا وَكَانَ
 أَشْعَرَ النَّاسِ فِي الْمَمْلَكَةِ وَأَشْرَمَ فِي ذِلِّ الْمَمْلَكَةِ^(٨) وَلَهُ الْفَخْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تَعَارِضُ وَالْأَسْرِيَّاتُ
 الَّتِي لَا تَنَاقُضُ^(٩) وَأَمَّا الْمُنْفِي فَقَدْ شَغَلَتْ بِهِ الْأَلْسُنُ وَسَهَرَتْ فِي أَشْعَارِهِ الْعَيُونَ الْأَعْيُنُ
 وَكَثُرَ النَّاسُ لِشِعْرِهِ وَالْأَخَذُ لَذِكْرِهِ وَالْفَائِضُ فِي بَحْرِهِ وَالْمُغْتَسِّقُ فِي قُورِهِ عَنْ جَمَانِهِ^(١٠)
 وَدَرَهُ وَقَدْ طَالَ فِي الْخَلْفِ وَكَثُرَتْ عَنْهُ الْكَشَفُ وَلَهُ شِيعَةٌ تَقْلُو^(١١) فِي مَدَحِهِ وَعَلَيْهِ خَوَارِجُ
 تَعْلَابِي فِي جَرَحِهِ وَالَّذِي أَقُولُ أَنْ لَمْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَأَقْوَى مَدَدًا
 وَغَرَائِبُهُ طَائِرَةٌ وَأَمْثَالُهُ نَائِرَةٌ وَتَمْلَهُ نَسِيجٌ وَمِيزُهُ صَحِيحٌ يَرُومُ فَيَقْدَرُ وَيُدْرِي مَا يُوْرِدُ وَيُصْدِرُ
 قَالَ أَبُو الرِّيَّانِ^(١٢) «عَذَا مَا عِنْدِي فِي شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ وَقَدْ سَمِعْتُ لِي مِنْ مُتَأَخَّرِي شُعْرَاءِ

- (١) بالنسخة الاندلسية: سر يدل نثر - (٢) هو أبو علي جعفر بن علي بن أحمد
 ابن حمدان أمير الزاب من أعمال إفريقية ومؤسس مدينة الميالة بالمغرب وقد حاربه
 الأمير بلكين الصنهاجي صاحب القيروان واستظهر عليه - ففر جعفر إلى الأندلس وبها
 قتل سنة ٣٦٤ هـ - ولأبي القاسم محمد بن هاني الشاعر الأندلسي في جعفر المذكور مدائح
 فائقة تراجع في ديوانه - (٣) بالنسخة التونسية: سلع عوض سوق - (٤) من بعثها
 إلى التجار مفعول بالنسخة الاندلسية - (٥) الخبر زبي ويروى أيضاً الخبر أُرْزِي هو أبو
 القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن ميمون الشاعر البصري المتوفى سنة ٣١٠ هـ - (٦) بالنسخة
 الاندلسية: طريفة - (٧) بالنسخة الاندلسية: أطرفاً عوض طرفاً - (٨) بالنسخة
 الاندلسية: الملك عوض الماككة - (٩) بالنسخة الاندلسية: ناهض - (١٠) بالنسخة
 الاندلسية: حماته (٩) بدل جماء - (١١) بالنسخة الاندلسية: تفلو (١٢) من قال أبو الريان
 إلى فاما ابن عبد ربه مفعول من النسخة الاندلسية

المغرب من لمعري لا يبعد عن معاصرهم ولا يتصرعن سابقيهم فلما ابن عبدربه
القرطبي وان بعدت عنك دياره^(١) فقد ماقتنا اشعاره ووقفنا على اشعار صوته الانينة
وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائح المروانية ومطاعنه في العباية وهو في كل ذلك
فارس ممارس وطاعن مداعس واطلعنا في شعره على علم واسع ومادة فهم مفيضة
ناصع ومن تلك الجواهر نظم عقد وتركه لمن يحمل بعده واما ابن هاني فمحمد
الاندلسي ولادة القيرواني وفادة وافادة فرعدي الكلام سردي النظام متهين^(٢)
المباني غير مكين المعاني يحفو بمطابا عن الاوهام حتى تكون كنقطة النظام الا انه
اذا ظهرت معانيه في جزالة مبياتيه رمى عن تحقيق يؤثر في البقي وله غزل قفري
لا عذري لا يقنع فيه بالطيف ولا يشفع فيه^(٣) بغير السيف وقد نوه به ملك الزاب
وعظم شأنه باجزل الثواب وكان سيف دوك في اعلاء منزلته من رجل يستعين على
صلاح دنياه بفساد اخراه لرداة غلله ورقة دينه وضعف بقيته ولو عقل لم تنفق
عليه^(٤) معاني الشعر حتى يستعين ثابرا بالكفر واما القسطلي^(٥) فشاعر ماهر عالم بما
يقول تشهد له العقول بالموخر بالاهر المقدم في الشعر حاذق^(٦) بوضع الكلام
في مواضعه لا سيما اذا ذكر ما اصابه في الفتنة وشكا ما داهم سيفه ايام المحنة وبالجملة
فهو اشعر اهل مغربه في ابعد الزمان واقربه واما علي التونسي فشعره المورد العذب
ولغظه اللؤلؤ الرطب وهو بجفري الغرب يصف الحمام فيروق الانام ويشبب فيعشقق
ويحبب ويمدح فيمنح أكثر ما يمنح

هذا ما عندي في المتقدمين والمتأخرين على احتقار المعاصر واستصغار المجاور
فحاش لله من الاوصاف بقلة الانصاف للبعيد والقريب والعدو والحبيب قلت:
يا ابا الربان^(٧) أكثر الله مثلك في الاخوان ووقاك بمحذور الزمان ومرور الحدثن فلقد

(١) بالنسخة التونسية: وان بعدت عنا ذكره — (٢) من متهين الى كنقطة النظام
مفقود من النسخة الاندلسية

(٣) بالنسخة الاندلسية: يشبع بدل يشفع — (٤) بالنسخة التونسية: عنه بدل
عليه — (٥) القسطلي هو ابو عمر احمد بن محمد بن دراج القسطلي الاديب المطبوع
المتوفى سنة ٤٢١ هجري والقسطلي نسبة الى قسطلية احدى الولايات بجزيرة الاندلس
(٦) بالنسخة الاندلسية: يوقع بدل يوضع — (٧) من قوله أكثر الله الى محذور الزمان
مفقود من النسخة الاندلسية

سبكت فيها وحشيت علما (١)

قال محمد قلت لأبي الريان في مجلس عتيب هذا المجلس يا أبا الريان لقد رأيت لك نقداً مصيباً ومرمى عجيباً ولقد ارباب في أن انال من نصيبا قال النقد هبة الموالد وفيه زيادة طارف الى تالذ ولقد رأيت ثلماً بالشعر ورواة له ليس لم نقاد في نقده ولا جودة فهم في رديه وجيده وكثير ممن لا علم له بظن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه قلت انا شديد الرغبة الى فضلك في أن تسهني من ميزك وعقلك ما استهدي بسرجه على مستقيم منهاجه فأقوت من مرائره على بعض ما وقفت واعرف من مفاخره ومعانيه جزءاً مما عرفت قال نعم اول ما عليه تعتمد وياه تعتمد أن لا تستعجل باستحقاق ولا باستقباح ولا باستقار ولا باستصلاح حتى تنعم النظر وتستخدم الفكر واعلم أن العجلة في كل شيء موطن لزلق ومركب زهوق فإن من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ويرد على السامع منه قعاقع فلا يركب شباخه مبناه وانظر الى ما في سكتاه من معناه فإن كان في البيت ساكن فتلك المحاسن وإن كان خالها فاعده جده جاً باليا وكذلك اذا سمعت الفاظاً مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تجعل باستضعافها حتى ترى ما في أضعافها فكمن معنى عجيب في لفظ غير غريب والمعاني هي الارواح والالفاظ هي الاشباح فإن حسنا فذلك الحظ المدح وان قبح احداهما فلا يكن الروح قال: وتحفظ عن شيئين احدهما ان يحملك اجلال القديم المذكور على العجلة باستحقاق ما تستمع له والثاني ان يحملك اصغارك المعاصر المشهود على التهاون بما انشدت له فان ذلك جور في الاحكام وعلم من الحكام حتى تمحص قولها فحينئذ تحكم لها او عليها وهذا باب في اغتلاقه استصعاب وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه اتعاب وقد وصف تعالى في كتابه الصادق ثبث القلوب بسيرة القديم ونقارها من المحدث الجديد فقال حاكياً لقولهم انا وجدنا آباءنا على أمة وقال لن نعبد الا ما وجدنا عليه آباءنا وقد قلت أنت :

(١) هنا تنتهي النسخة الاندلسية وفي آخرها ما نصه: « نجزت المقامة بأسرها والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وسلامه اه » ثم عقب ذلك بخط غير منقوط « طالعه في موافق سنة خمس وخمسمائة » وعليه فتكون النسخة الموجودة الآن باسبانيا كتبت قريباً من عهد المؤلف (راجع ترجمته بالمقدمة) (٢) نعم مثل نعمن

أغري الناس بامسحاح القديم وبذم الجديد غير ذم^(١)
ليس الا لانهم حسدوا الحسبي ورقوا على العظام الرميم
وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للاولى التقديم
ان ذاك القديم كان جديداً وسيغدو هذا الجديد قديماً
فلا يرعك ان تجري الى مناج الحق في جميع الخلق فيه قامت السموات والارض
وبه احكم الابرام والنقض وسأمثل لك في ذلك مثالا واملاً استعاضك بقالا وفهمك
عدلاً واعتدالاً
ينبع



فَتْحُ ظَاهِرِ طَبَوْنِيَا

حاضر الاسلام ومستقبله .

تأليف الأستاذ مونتيه من كلية جنيف (سويسرا) طبع على نفقة المكتبي بول كولنر
بياريز ص ١٥٧

M.E. Montet, De l'Etat présent et de l'avenir de l'Islam.
Librairie Paul Geuthner, Paris

في رجال العلم في الغرب فئة قليلة تجردت نفوسهم عن الغايات فاذا اصدروا حكمهم
نكلى امر يصدره اقرب الى الصحة احياناً اكثر من تربوا تربية القرون الوسطى
وتشبعوا بافكار اهلها او يزعموا منزعة سياسياً نصارت اقوالهم واقوالهم تصدر وهي ترشح
من مادة سياسة دولتهم . ومن اهل تلك الفئة الفاضلة الاستاذ مونتيه من جامعة جنيف
في سويسرا التي ست محاضرات في حاضر الاسلام وماضيها باللغة الافرنسية في «كوليج
دي فوانس» بياريز وهي دار العلم العامة ونشرها في كتاب ارسل الينا لتبدي رأينا فيه
فرايتنا ان تلخص اقواله اولاً ثم نعقب عليها اذا وجدنا داعياً قال في المحاضرة الاولى في
الابحاث الاسلامية واحداً ، نفوس اهل الاسلام وانتشار دينهم . ان فرنسا والمانيا

«١» اورد البيتين العلامة الشريشي في شرحه الكبير لمقامات الحريري «ج ١
ص ١٢» وروى : اولع بدل اغري والحديث بدل الجديد ومالوا عوض ورقوا
وقوله «ذم» اصلها «غير الذم» كما انه اورد لفظ «ورقوا» في البيت الثاني
والاحسن عندي ان تقرأ «فرقوا» «٢» بالاصل : سيغدو